صلاح الدين لمواقعه حول السور من الجانب الغربي إلى الجانب الشمالي هو تسلط أشعة الشمس على عيون عساكره[53]، إذ كان عليه أن يكتشف ذلك منذ اليوم الأول فيغير مواقعه تبعاً لذلك ولا ينتظر طيلة أيام خمسة). ويؤكد ابن الأثير وجهة نظرنا إذ يقول: «بقي صلاح الدين خمسة أيام يطوف حول المدينة لينظر من أين يقاتله (السور)، لأنه في غاية الحصانة والامتناع، فلم يجد عليه موضع قتال إلا من جهة الشمال»[54].

بعد هذه الفترة، قرر صلاح الدين الانتقال بجيشه إلى الجانب الشمالي من السور، إلى سهل الساهرة، عند باب العمود، حيث «نصب، تلك الليلة، المجانيق، فأصبح من الغد وقد فرغ من نصبها، ورمى بها»، وكان ذلك «يوم الجمعة» في «العشرين من رجب»[55]، (25 أيلول)، بينما أمر أخاه بالبقاء في مواقعه بغية تشتيت جهد المدافعين الذين سيضطرون للرد على ضربات المحاصِرين من عدة مواقع. ويؤكد كلام ابن الأثير هذا ما سبق أن ذكرناه من أن صلاح الدين كان يرغب في تأمين عنصر المفاجأة عندما نقل جيشه من الجانب الغربي إلى الجانب الشمالي من السور، ونصب المجانيق وأعدها للرمي، «فأصبح الغد وقد فرغ من نصبها ورمى بها»، كما يؤكد ذلك قول «رنسيمان» نفسه إن المدافعين اعتقدوا، للوهلة الأولى، أن صلاح الدين قد رفع الحصار عن المدينة، إلا أنهم فوجئوا به «صبيحة يوم 26 أيلول/ سبتمبر 1187م» وقد اتخذ جيشه مواقع جديدة له «على جبل الزيتون»، ثم «أخذ النقّابون، في حراسة فرسانه، ينقبون السور الواقع قرب باب العمود»[56].

ويحاول المؤرخ «غروسيه» كذلك أن يعتبر فشل صلاح الدين في الهجوم الذي شنّه على السور، في الأيام الأولى لتمركزه، سبباً رئيسياً في نقل جهده العسكري من الجانب الغربي، حيث كان قد تمركز ما بين العمود (باب القديس اسطفان) وحصن داود (القلعة)، إلى الجانب الشمالي من باب العمود حتى باب يهوشافاط

---

(53) رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 749 ـ 750.
(54) ابن الأثير، المصدر السابق، ج 11: 547.
(55) م. ن. ص. ن. وأبو شامة، المصدر السابق، ج 2: 92.
(56) رنسيمان، المرجع السابق، ج 2: 750.